جامعة تكريت / كلية التربية للعلوم الإنسانية / اللغة العربية

المرحلة: دكتوراه/ لغة

المادة: مناهج لغوية حديثة

عنوان المحاضرة: المنهج المعياري

التدريسي: الأستاذ الدكتور قاسم خليل إبراهيم

العام الدراسي ٢٠٢٥-٢٠٢٦

المنهج المعياري :

فقد وَفَدَ إلينا مصطلح المعيارية من جهة الغرب ولا سيما الدراسات اللغوية الحديثة وأخذ به طلبة الدراسات العليا الذين درسوا في الجامعات الاوربية وتأثروا بهذا المنهج وغيره من المناهج الحديثة.

ومفهوم المعيارية الذي عُرِفَ في الدراسات اللغوية الحديثة في أُوربا وميادين البحث اللغوي لم يكن بدعا عن الدراسات اللغوية في التراث اللغوي العربي, بل إنَّ جُلَّ ما ذكره المحدثون قد أشار إليه اللغويون العرب من البلاد الاسلامية إذ كان للعرب يد طولى في وضع أسس البحث العلمي حين استقرؤا نصوص لغتهم واستنبطوا قواعدهم ووضعوا اصواتهم فكان من نتائج تلك الجهود وجود النحو العربي وقواعد اللسان وأساسيات فصاحة التركيب والألفاظ, وكان ميدانهم الذي صالوا به وجالوا هو القران الكريم، والحديث النبوي الشريف، والتراث الادبي والاجتماعي لأئمة العرب قبل مجيء الاسلام وفي عهد الرسالة حتى أواخر العصر الأموي.

بعد أن تعددت المناهج اللسانية في العصر الحديث فقد تناول الباحثون المنهج المعياري التراثي القديم بالقراءة والنقد والموازنة بينه وبين المناهج الأُخر.

إذ يعد المنهج المعياري أسبق إلى الظهور من غيره من المنهاج وذلك لأنَّ الدراسات كانت معيارًا تهدف إلى فهم النص من خلال المعايير المستقاه منه بغرض الوقوف على معناه فهو نظام يمتحن المستوى الصوابي للنّص وفق أسس معينة.

فالمنهج المعيار يقوم على اساس القاعدة اللغوية بعيدًا عن الوصف فيبدأ بالكليات وينتقل إلى الجزئيات, ويتناول لما يخرج عن القاعدة اللغوية شتى التأويلات فيحكم عليها بالشذوذ أو القلة أو الندرة, فالتعليلات الفلسفية لها أهمية في هذا المنهج حيث يتكئ عليها بشكل كبير, وهذا المنهج يُعنى بتحديد قواعد اللغة وضوابطها وفق أسس منطقية ويهمل ما سواها من القليل والنادر والشاذ والغريب ويتأوّل له.

والدراسة اللغوية عند العرب تحولت من الوصفية إلى المعيارية قال الدكتور رشيد العبيدي: ((كانت دراسة العرب للعربية بالمنهج الوصفي واضحة على يد الخليل وسيبويه والكسائي وغيرهم من الرواد الأوائل ثم تحولت فيما بعد ولا سيما في القرون المتأخرة إلى المنهج المعياري عندما ثبتت أصولها وتبين لها مستوى صوابي معيّن وارتبطت أساليبها البلاغية بنماذج مثالية في المعنى والمبنى كالقرآن الكريم والحديث النبوي والشعر العربي الأصيل)).

فجهود المعياريين انطلقت أصلا من هدف يُتَقَصَّد منه الحفاظ على اللغة في نموذجها الذي يمثله عصر الاحتجاج اللغوي, وذلك لكي يتاح للأجيال عبر العصور أن تعود إلى هذا الانموذج

لتتمثله وتحتذيه في كلامها وكتابتها فإن خرج امرؤ عن هذا الانموذج سهل عليه ان يرجع نفسه ليعود أو يعاد إليه .

والغالب أن تكون اللغة المعيارية في بدايتها لهجة محلية ثم تنال شيئا من التمجيد ويعترف بها لغة رسمية ثم تصبح هذه اللغة نواة للمنهج المعياري وتُتَخَذ قواعدها معيارًا للصحة والخطأ ومثال ذلك لهجة قريش التي فُضلت لأسباب دينية وسياسية ثم بعد ذلك نزل بها القرآن الكريم ولاشك أنّ الحفاظ على اللغة القرآنية هدف اسمى ينبغي أن تتجه نحوه الانظار بأن توجّه إليه الجهود فقد تركزت جهود اللغويين على دراسة اللغة إلى عصور الاحتجاج اللغوي . أي من العصر الجاهلي مرورًا بصدر الإسلام وانتهاء بحوالي (١٨٠ هـ), ويقدر هذا بثلاثمائة عام تقريبا وذلك بقصد إيجاد معايير ثابتة للغة تلتزم بها الأجيال الناطقة بالعربية في العصور اللاحقة, وتكون معايير عصر الاحتجاج حجّة يسار عليها في الاهتداء إلى الفصحى.

أمّا العصور التالية لعصر الاحتجاج فلم تُحظ بدراسات تفصيلية مهمة. بل كان الاهتمام بها حاشية على اهتمامهم بلغة عصر الاحتجاج.

أمّا أن تُوصف قواعد اللغة العربية المتطورة في العصور اللاحقة بقصد المسير عليها فهذا مَسْعىً لا يُقرّه القدماء, لأنّه في أيسر ما يقال عنه: إنّه خارج عن المعيار المنشود الذي تُقرره قواعد عصر الاحتجاج. ولذا كان في وسع المرء أن يَسِمَ منهج القدماء بصفة عامّة جامعة, وهي (المعيارية), وأن يسمى منهجهم بـ(المنهج المعياري).

ولا يعني هذا أن غير أصحاب المنهج المعياري لا يعتنون بالمعايير, فكل مدرسة لغوية تهتم بذلك على نحو أو آخر, بَيْدَ أن أصحاب المنهج المعياري يهتمون بالمحافظة على صفة (الثبوت) والاطّراد اللذين يُلزمان الناس عبر العصور بهذا المعايير.

ومما يسوّغ اقتصار علمائنا القدماء على دراسة اللغة إلى عصر الاحتجاج, رغبتهم في الحفاظ على اللغة في صوتها التي ترتبط بالقران الكريم, والسنة النبوية الشريفة, وسيرة السلف الصالح من المسلمين الأُوَل. ولذا فإنّهم لم يكترثوا بالعصور اللاحقة, إلا في الحدود التي تَشُدّ الناس إلى لغة المعيار الثابت, لغة عصر الاحتجاج.

وفي هذا ما يوضح الهدف من دراسة بعض اللغويين لظاهرة (اللحن اللغوي) في العصور اللاحقة لعصر الاحتجاج. بل إن تسميتهم لما ألّفوه من كتب في هذا الصدد ما يشير إلى غرضهم هذا. فهي دراسات ترمي في جملتها إلى إصلاح ما يقع فيه الناس من خطأ, أو ردّهم إلى المعايير الثابتة التي تمثل أساليب العرب ضمن إطار زماني لا يتجاوز عصر الاحتجاج ولا يتخطى بيئات مكانية مُحّددة, تمثلها قبائل معيّنة, وهي أقرب القبائل إلى تمثيل لغة القرآن.

ومن المعلوم أنّ المنهج المعياري القديم قد داخلته الاساليب الفلسفية والمنطقية كالاحتجاج لأصلية المصدر وفرعية الفعل بحجة أن المصدر (أحادي المدلول) وأمّا الفعل فـ(ثنائي المدلول) أذ هو يدل على الحدث وزمن وأمّا المصدر فيدل على الحدث فقط فهو بسيط وليس مركب ولذا كان أصلا لأنّ الأصل يكون بسيطًا والفرع يكون مركبًا .

ومن الأمثلة على المعيارية عند أهل العربية من المتقدمين ما نجده في كتاب سيبويه فكثيرًا ما نجده يقول (وهذا هو القياس), أو (قيسها كذا), أو (هذا لا يقاس عليه), أو (هو شاذ), أو(وهذا لا يطرد), أو(وهذا لا يلتفت إليه), فهذه التعبيرات أوضح مثال على المنهج المعياري فالنحاة العرب حاولوا أن يوحّدوا انموذج العربية ويثبتوا معاييرها وهم محقون في هذا بل هذا ما تلتزم به الامم عادة حين تتخذ لنفسها معيارًا ثابتا تَعُدّه الفصيح الذي يلتقي عليه الناس على اختلاف لهجاتهم ولو لفترة زمنية محددة.

***الانتقادات التي وجهت للمنهج المعياري الأوربي:**

١ـ بنيت القواعد على دراسة اللغة المكتوبة, ولا سيما لغة كبار الادباء والقدماء.

٢ـ عنايتهم بعلم الصرف على حساب غيره من المستويات الاخر إلى حد كبير.

٣ـ لم تتخذ معايير معينة ثابتة عند بحث جميع الجوانب اللغوية.

٤ـ كان الاهتمام مركّزًا على القواعد والقوانين التي تجنب الإنسان الخطأ لا تلك التي تعطيه صورة متكاملة عن اللغة.

وهذه الانتقادات التي أُخذت على النحو الأوربي بدأت بالظهور في النحو العربي، من مثل تأثر النحو العربي بالمنطق الارسطي إذ ركز على التعليل والتقدير والتأويل ولم يركز على الاستعمال اللغوي, ومن مثل تقعيد القواعد لعربية مخصوصة تتمثل في مستوى معين من الكلام هو في الاغلب الشعر, أو مَثَل, أو نص قراني أي قصرهم على اللغة الادبية.

***العوامل المؤثرة في نشوء المعيارية في العربية:**

١ـ ضبط النص القرآني:

لاحظ المسلمون من حكام وعلماء فساد الالسن بسبب اختلاط العربي بالأقوام العجمية المسلمة ففكروا في وضع علامات تعصم ألسنة الناس من الخطأ في نطق الألفاظ فتمت أول خطوتين وهما نقط الاعراب ونقط الاعجام اللذان يمثلان بدأ التفكير النحوي فالنحو والصرف والبلاغة يندرج تحت مفهوم المعيارية لأنها جميعها تمثل اسس الاحتكام والرجوع عند الضرورة.

٢ـ أثر المنطق الارسطي:

لاشك أنّ أثر المنطق الارسطي ظاهر في علم النحو والصرف قال علي زوين إنّ من اسباب المعيارية ((تأثر النحو العربي بالمنطق والمنطق الذي نعنيه هو منطق ارسطو الذي قال كثير من الباحثين بتأثره في بعض الاتجاهات في الدراسات العربية القديمة منها الدراسات اللغوية)).

٣ـ الغرض التعليمي:

الغرض التعليمي من اهم السمات المعيارية فالنحو التعليمي يكون في عمومه نحوًا معياريًا لأنّ التعليمية أداة المعيارية.

٤ـ اللغة الأدبية:

إنّ اللغة الأدبية هي لغة القرآن والحديث الشريف والشعر والنثر فإذا كان النحو نشأ للحفاظ على القرآن فأولى به أن يستخرج من لغ القرآن ولا سيما أنّها لغة الدولة والدواوين.